بعد تحذيره من مزالقها.. العروي يعيد الاعتبار للترجمة.. أصل "الداء"

تيلكيل عربي - العدد 34 - من 10 إلى 16 يناير 2020

تيلكيل عربي

مدير النشر : المختار عماري

ar.telquel.ma/

باب سبتة..

النهاية غير المعلنة لمعبر العار

عبودية القرن الحادي والعشرين

صور صادمة نقلها تقرير اللجنة الاستطلاعية البرلمانية إلى معبر باب سبتة عن واقع بشع تعيشه "حمّالات" التهريب، الذي يُعرّف أحيانا بأنه "معيشي"، وبأنه "منظم"، في أحايين أخرى، لكن الثابت أن أولئك النسوة يعانين من ممارسات حاطّة بالكرامة الإنسانية، لا تليق بالمغرب الحديث، ولا بالجارة الشمالية للمملكة، التي ما زالت "تعتاش" على ممارسات "استعمارية" أكل عليها الدهر وشرب.

من هذا المنطلق، كان لابد للعدد الأسبوعي لـ"تيلكيل عربي" أن يخصص ملفه لهذا التقرير، مع مساءلة برلماني ونشطاء المنطقة عن دلالات محتوياته، التي تنتهي إلى أن إغلاق معبر باب سبتة في وجه "التهريب المنظم" قد يكون نهائيا.

في مشاهد تذكر بالعبودية القديمة، وهي بلا شك من مظاهر عبودية القرن الحادي والعشرين، ينقل التقرير صور مخزية عن طابور طويل للنساء، في جو بارد، وأمطار غزيرة، في فضاء يفتقر لأبسط الشروط من مراحيض وأماكن مغطاة تقيهن قساوة البرد والأمطار. ينحدرن من أسر فقيرة، ومنهن أرامل ومطلقات، يعلن أسرا بكاملها، من مدخول التهريب المعيشي. يضطررن للمبيت في هذه الظروف القاسية، كما يستعمل أغلبهن الحفاظات في ظل غياب المرافق

في مشاهد تذكّر بالعبودية القديمة، وهي بلا شك من مظاهر عبودية القرن الحادي والعشرين، تعاني "حمّالات" التهريب من التحرش الجنسي وسوء المعاملة.

الصحية، فضلا عما يتعرضن له من تحرش جنسي وسوء معاملة...

مشاهد لا يتصورها بتلك البشاعة إلا من وقف على ذلك عيانا، لأن الصور الثابتة، وحتى المتحركة، وزوايا النظر، مهما اختلفت، تقصّر، في كثير من الأحيان، في نقل المعاناة الحقيقة. ■

هذه تفاصيل خارطة طريق عبد النبوي لتطوير أداء النيابة العامة

تحولات كثيرة سوف تشهدها النيابة العامة مستقبلاً، سواء على مستوى اشتغالها أو تسويق صورتها. ومن أبرز تلك التحولات، استئناف برنامج تكوين الناطقين باسمها، والذين سوف يتم تفعيل دورهم قريباً.

أحمد مدياني

وقف الوكيل العام للملك بمحكمة النقض رئيس النيابة العامة محمد عبد النبوي، في كلمة له اليوم الجمعة 10 يناير الجاري، بمقر رئاسة النيابة العامة بالرباط، مطولاً على كيفية معالجة وكلاء الملك لقضايا الفساد، وكشف خارطة طريق تقوية المؤسسة التي سوف تصبح تحت مجهر الرقابة والتقييم.

ناطقون باسم النيابة العامة

طالب رئيس النيابة العامة محمد عبد النبوي المسؤولين القضائيين على النيابات العامة، بضرورة "تحديث طرق العمل وبلورة اجتهادات موفقة، من أجل جعل النيابة العامة مؤسسة حقوقية وقانونية في خدمة الوطن والمواطن". وأضاف أن التحديث والاجتهادات يجب أن تسير في اتجاه "التفاعل مع تطلعات المواطنين المغاربة، في التوفر على عدالة يقظة، حريصة، تستمع لتظلماتهم وتتفاعل معها في الوقت اللازم وبالأسلوب المناسب". وتابع المتحدث ذاته أن توجيهات الملك بـ"صيانة حقوق وحريات المواطنين والمواطنات، يتطلب بذل كل الجهود للوفاء بهذه المهمة الجسيمة، والتي تقتضي حرصاً مستمراً ويقظة دائمة، وتدخلاً حاسماً وفورياً أمام الأحداث".

في هذا الإطار، دعا الوكيل العام للملك رئيس النيابة العامة إلى بلورة التصور الملائم لترسيخ صورة "نيابة عامة مواطنة".

الوكيل العام للملك بمحكمة النقض رئيس النيابة العامة محمد عبد النبوي.

واعتبر عبد النباوي أن "النيابة العامة المواطنة" هي "القريبة من انشغالات عموم المواطنين، وحريصة كذلك على التواصل معهم". كما اقترح "دراسة تفعيل مهام الناطقين الرسميين باسم النيابات العامة، الذين سبق أن تلقوا تكويناً أوليا خلال السنة المنصرمة، والذين ستتم دعوتهم من جديد لاستكمال هذا التكوين خلال الأشهر القادمة، حتى تتمكنوا من تكليفهم بمهام التواصل مع الرأي العام قبل نهاية السنة الجارية".

محاربة الفساد باستمرار

وقف المتحدث ذاته، في كلمته عند موضوع وصفه بـ"الهام وتوليه السياسة الجنائية وطنياً ودوليا أهمية بالغة". ويتعلق الأمر، حسب عبد النبوي، بـ"مكافحة الفساد المالي وتخليق الحياة العامة وحماية المال العام". وشدد على أن "مكافحة الفساد تؤثر بشكل مباشر على الحياة اليومية للمواطنين، لما يُلْحقُه من أضرار بالبناء الاقتصادي للدولة، وما يسببه من اختلالات في شروط المنافسة الحرة وحرية التبادل التجاري وضياع فرص الاستثمار، وبالتالي الإضرار بالاقتصاد الوطني، وبالأوضاع الاجتماعية للأشخاص، ولاسيما هدر فرص الشغل، وما يترتب عن ذلك من آثار خطيرة على البناء الأسري وظروف عيش الساكنة". وذكر عبد النبوي بالفصل 36 من الدستور، الذي يبين المحددات الأساسية لتوطيد الشفافية والنزاهة. وأضاف أن "من بينها معاقبة الانحرافات في تدبير الأموال العمومية، واستغلال النفوذ وتنازع المصالح والرشوة واختلاس وتبديد المال العام والتلاعب بالصفقات العمومية"، معتبراً ذلك من "المراحل الأساسية لتحقيق المساواة بين المواطنين في الولوج إلى الخدمات العمومية وتكافؤ الفرص بين المستثمرين عند ولوج السوق".

وأكد رئيس النيابة العامة على أن الدورية التي توصل بها الوكلاء العامون للملك ووكلاء الملك، يوم 6 يناير الجاري، بمناسبة اليوم الوطني لمحاربة الرشوة، تشدد على مكافحة مختلف المظاهر الإجرامية للفساد المالي عملاً مستمراً وليس حملات موسمية.

وأشار عبد النبوي في كلمته إلى أن "تحسين أداء النيابات العامة يتطلب إقامة نظام لتفقدها وتتبع كيفيات سيرها، وتقييم مستوى أداء قضاتها بعدما لوحظ وجود فراغ في هذه الوظيفة، ولاسيما على مستوى النيابات العامة لدى المحاكم الاستئنافية". ■

حصري..

هكذا تسرق نقودكم وتقرصن حساباتكم البنكية

خلال الأسابيع الماضية، اكتشف المواطنون في كل من مدن الدار البيضاء ومراكش وطنجة أن مجموعة من الشبابيك الآلية البنكية مستهدفة من طرف قراصنة البطاقات البنكية، وتناقل رواد مواقع التواصل الاجتماعي فيديوهات تظهر زرع كاميرات عالية الدقة وأجهزة رقمية متطورة، مهمتها نسخ كل معطياتك الشخصية لسرقة حسابك البنكي.

أحمد مدياني

كيف تتم عملية القرصنة؟ وما هي أنواعها؟ ومن المسؤول عن حماية المعطيات الشخصية لزبناء الأبناك وأرصدتهم؟ وما هي الإجراءات التي تم اتخاذها لمواجهة وضبط قراصنة الأرصدة البنكية؟

كل هذه الأسئلة يجيب عليها "تيلكيل عربي" من خلال وثيقة حصل عليها من طرف مصدر بنكي مسؤول، وتتضمن تفصيلا لكل أشكال الاحتيال الإلكتروني على الأرصدة البنكية، كما يكشف توصية مهمة لبنك المغرب أرسلت إلى المؤسسات البنكية للرفع من قوة حماية البطائق البنكية.

هكذا تسرق نقودكم وتقرصن حساباتكم البنكية

هناك طرق كثيرة لسرقة بيانات البطاقات البنكية، وذلك من خلال استهداف الشبابيك الآلية التي يزرع فيها المقرصنون أجهزة أو أدوات تستهدف إما المعطيات الشخصية أو السيولة، والخطير في هذا الأمر هو أن الزبون العادي الذي يود سحب نقوده من البنك إلكترونيا لا يمكن له أن يكشف عمليات القرصنة والسرقة. ويعمد المقرصنون للحسابات البنكية أو الذين يستهدفون السيولة إلى اعتماد أربعة طرق وهي:

1- سرقة بيانات البطاقات البنكية (Skimming):

يقوم المقرصنون في هذا الشكل من الاحتيال بوضع جهاز صغير لقراءة البيانات (Skimmer) على الشبابيك الآلية البنكية لتغطية مكان إدخال البطاقة البنكية.

يقوم المقرصنون بوضع جهاز صغير لقراءة البيانات على الشبابيك الآلية البنكية لتغطية مكان إدخال البطاقة البنكية.

ويستطيع هذا الجهاز الخفي نسخ شريط البطاقة البنكية، في الوقت الذي تقوم فيه كاميرا مثبتة فوق الشباك بتصوير القن السري الذي يكتب على لوحة المفاتيح، وهذه العملية تمكن المقرصنين من نقل بيانات الزبناء إلى بطائقة بنكية منسوخة تتضمن نفس البيانات الشخصية للبطاقة الأصلية.

كما يلجأ المقرصنون لطريقة أخرى من أجل الحصول على القن السري، وذلك بوضع لوحة مفاتيح مزورة فوق اللوحة الأصلية، وهذه اللوحة المزيفة تتضمن شريحة تخزن الأرقام الأربعة التي يتم إدخالها.

2- فخ السيولة (Cash Trapping):

كثيراً ما يجد زبناء الأبناك أنفسهم أمام إتمام عملية سحب النقود من الشبابيك الآلية البنكية، لكن دون خروجها، ويعتقدون أن

هناك خللاً في الشباك، ليتوجهوا إلى داخل الوكالة من أجل الاستفسار أو يغادروا دون القيام بذلك، خاصة خلال فترة نهاية دوام العمل. عدم خروج النقود من الشباك الآلي البنكي ليست دائما بسبب خلل تقني، بل يعمد مستهدفو سيولة حساباتكم البنكية إلى القيام بحيلة بسيطة، وتتمثل في إعاقة خروج النقود بواسطة "عمود" صغير.
ويقوم السارق مباشرة بعد مغادرة الزبون لمكان تواجد الشباك الآلي البنكي، بسحب "العمود" الذي يكون صغيرا ودقيقا جدا، ما يحرر عملية خروج النقود.

3- فخ البطاقة (Card Trapping):

كما هو الحال في عدم خروج النقود رغم إتمام عملية السحب، قد تصادفون مشاكلا في خروج بطاقتكم البنكية رغم عدم انتهاء صلاحيتها أو ارتكابكم لخطأ في إدخال القن السري، وتعتقدون أن بنككم هو الذي قام بعملية حجزها، وتتوجهون لطلب المساعدة من أحد المستخدمين أو تغادروا مكان الشباك الآلي البنكي.
فخ البطاقة هو طريقة يتم بواسطتها حجزها داخل الموزع الآلي، وبينما يقوم الزبون بتركيب قنه السري، يعمد الشخص المتواجد وراءه أو بجانبه بتتبع حركة أصابعه. وعند دخول الزبون إلى البنك للاستفسار عن حجز بطاقته وطلب المساعدة أو يغادر مكان الشباك الآلي البنكي، يقوم السارق بتحرير البطاقة التي تحجز بواسطة جهاز خاص بذلك، يشبه تماما المكان المخصص لإدخالها.

4- الاحتيال المباشر:

ومن الحالات الأخرى التي تسجل وتتوصل الأبناك بشأنها بشكايات من الزبناء عن فقدان بطائقهم البنكية، وهي السرقة المباشرة لها. هذه العملية التي وثقتها كاميرات الأبناك في أكثر من مرة، تتم بوساطة شخصين؛ يقوم أحدهما بتتبع رقن الزبون للقن السري، ثم يعمد الشخص الثاني إلى جذب اهتمامه عند عملية سحب النقود، وفي الوقت ذاته يقوم الشخص الأول الذي حفظ القن بسحب البطاقة بسرعة ومباشرة بعد خروجها من الموزع.

وضع بنك المغرب منظومة لرفع التقارير الشهرية لتتبع عمليات الاحتيال النقدي لاتخاذ التدابير التصحيحية عند الاقتضاء.

إجراءات مواجهة القرصنة والاحتيال

يعتبر بنك المغرب هو الجهة التي تواكب المنظومة البنكية في محاربة كافة أشكال الاحتيال والقرصنة التي قد تؤثر على استعمال البطائق البنكية. بنك المغرب، وحسب معطيات موثوقة حصل عليها "تيلكيل عربي" من مصادره الخاصة، قام، خلال الفترة الأخيرة، بصياغة التوصيات التالية وإرسالها إلى المؤسسات المكلفة بإصدار البطائق البنكية، وتتضمن ضرورة القيام بإجراءين، هما:

- تجهيز الشبابيك بآليات لكشف عمليات سرقة بيانات البطاقات البنكية (Skimming).

على اللوحة الأصلية للشباك الأوتوماتيكي، توضع لوحة مفاتيح مزورة تتضمن شريحة تخزن الأرقام الأربعة التي يتم إدخالها.

- رفع المعايير الأمنية للبطائق من خلال الانتقال نحو معيار "EWV" بطائق مزودة بشرائح.

وتشير المعطيات التي حصل عليها "تيلكيل عربي" إلى أن اعتماد معيار "EWV" في البطائق البنكية، إلى نسبة 90,7 في المائة من مجموع البطائق المتداولة على الصعيد الوطني، وذلك حسب آخر إحصائيات قام بها بنك المغرب شهر شتنبر من العام 2019.
ومن أجل مواكبة البنوك في تطبيق هذه التوصيات، يقوم بنك المغرب بإنجاز عمليات مراقبة ميدانية، تمكن من التحقق من الجوانب المتعلقة بسلامة وسائل الأداء، سواء من حيث بنايتها التحتية أو كل ما يتعلق بالبطائق البنكية. إلى جانب ذلك، قام بنك المغرب، بوضع منظومة لرفع التقارير الشهرية بغية تتبع تطور عمليات الاحتيال النقدي مع السهر على اتخاذ التدابير التصحيحية عند الاقتضاء.
ووضع بنك المغرب، منذ مدة، نظاما لليقظة خاص بالاحتيال النقدي، مع تتبع مستجدات التقنيات المعتمدة في هذه الجرائم، وتعميمها على كافة المنظومة البنكية، وذلك في إطار لجان خاصة بمحاربة الاحتيال تعقدها هيئة الرقابة مع الأبناك. ■

باب سبتة..
النهاية غير المعلنة لمعبر العار

"امرأة مسنة في سن 73، مارست حرفة التجارة المعيشية لمدة 30 سنة، وهي في وضعية صحية سيئة، تؤكد أن المعبر جحيم يومي لا محيد عنه لضمان لقمة العيش"... صورة ضمن عشرات الصور الصادمة التي ينقلها تقرير اللجنة الاستطلاعية البرلمانية إلى معبر باب سبتة.

المختار عماري

عاين النواب كيف تعرض بعض النساء للإهانة والسب من طرف بعض المنظمين.

"تيلكيل عربي" تنقل مضامين التقرير قبل المصادقة النهائية عليه، وتحاور رئيس اللجنة التي أعدته، وتسأل برلمانيي ونشطاء المنطقة عن دلالات محتوياته، وتنتهي إلى أن إغلاق معبر باب سبتة في وجه "التهريب المنظم" قد يكون نهائيا.

"طابور طويل للنساء، في جو بارد، وأمطار غزيرة، (...) في فضاء يفتقر لأبسط الشروط من مراحيض وأماكن مغطاة تقيهم قساوة البرد والأمطار. (...) ينحدرن من أسر فقيرة، ومنهن أرامل ومطلقات، يعلن أسرا بكاملها، من مدخول التهريب المعيشي. (...) يضطررن للمبيت في هذه الظروف القاسية، كما أن أغلب النساء يستعملن الحفاظات في ظل غياب المرافق الصحية، فضلا عما يتعرضن له من تحرش جنسي وسوء معاملة وانتشار آفة المخدرات".

بهذه العبارات يصف تقرير اللجنة الاستطلاعية لباب سبتة، المكون من 14 نائبا برلمانيا، يمثلون أعضاء اللجنة، المكونة من أحزاب العدالة والتنمية والأصالة والمعاصرة، والتجمع الدستوري، والفريق الاستقلالي، والفريق الحركي، والاتحاد الاشتراكي، والتقدم والاشتراكية، ما شاهده النواب بأم أعينهم في المعبر يوم 30 أكتوبر 2018، وهم يحاولون في زيارات متكررة ومفاجئة للمعبر، الوقوف على ما تعيشه 3500 امرأة، و200 طفل قاصر، ومئات الرجال، الذين يشتغلون في التهريب المعيشي، من مآس.

"أغلب النساء يستعملن الحفاظات في ظل غياب المرافق الصحية، فضلا عما يتعرضن له من تحرش جنسي وسوء معاملة وانتشار آفة المخدرات".

الحركة مقابل الفتات

قبل ذلك التاريخ، سيقوم نواب الأمة بزيارتين مباغتتين ومتتاليتين للمعبر، يومي 10 و11 يوليوز. في الزيارة الأولى، التي يقول التقرير إنها تمت ليلا، "صادفت الزيارة دور الرجال والأطفال القاصرين للدخول إلى المعبر. وقد بلغ عددهم ما يقرب من 400 شخص صرحوا أنهم يقضون ليلتين في العراء للدخول إلى المدينة المحتلة، كما عاين النواب طابورا من الرجال من ذوي الاحتياجات الخاصة ينتظرون دورهم للدخول في اليوم الموالي، ومعيتهم مرافقون. كل ذلك في ظروف جد سيئة، تنعدم فيها كل شروط الإنسانية مع ما يرافق ذلك من انتشار للمخدرات والسرقة".

عندما سيعود نواب الأمة، في اليوم الموالي، 11 يوليوز، لن يجدوا وضعا أفضل بالمعبر. يقولون في تقريرهم إنهم صادفوا "دخول الطابور الخاص بالرجال، ومنهم ذوو الاحتياجات الخاصة، وبعض الأطفال القاصرين، الذين قضوا ليلة بكاملها في العراء، ليلتحق بهم في الصباح طابور خاص بالنساء لتعم الفوضى والازدحام والتدافع".

يقول النواب إن هذا الطابور خاص بالنساء العاملات في سبتة، وهن عموما من الخادمات اللواتي تتراوح أعمارهن بين 35 و50 سنة. وعاين النواب كيف "تعرض بعضهن للإهانة والسب من طرف بعض المنظمين... كما لاحظ النواب وجود فتيات يمتهن الدعارة بالمدينة المحتلة"، ضمن النساء الراغبات في دخول المدينة.

هذه الإهانة اليومية، والتي يتجرعها أيضا مسنون ومسنات، تتم مقابل ربح يتراوح بين 100 و200 درهم، وقد تصل عند بعض مساعدي "الحمالة" من القاصرين إلى 20 درهما فقط، دون أن تسلم البضاعة التي قد تتعرض للحجز، وقد ينتهي الأمر بصاحبها أو صاحبتها إلى الدخول في غيبوبة، دون أن يسعفه أحد، بسبب "الإغلاق المستمر للوحدة الصحية بالمعبر"، يقول التقرير.

ولم تتردد اللجنة في التأكيد على أن "هناك شعورا عاما بالحكرة والإهانة في صفوف النساء ممتهنات التهريب المعيشي. ويقدم التقرير نموذجين لذلك: "حالة تدخل مؤسسة محمد الخامس للتضامن لإنقاذ

تعتبر نائبة أنه ليس هناك تهريب معاشي، وبأن هناك تهريبا منظما يضر الاقتصاد الوطني.

هناك سلع استهلاكية مهربة منتهية الصلاحية تهدد صحة المغاربة، حسب عضو في اللجنة الاستطلاعية.

» امرأة من ممتهنات التهريب المعيشي في سن 50، أصيبت بحالة هستيرية بعد حجز سلعتها"، و"تصريح لامرأة مسنة تبلغ من العمر 73 سنة مارست حرفة التجارة المعيشية لمدة 30 سنة، وفي وضعية صحية سيئة تؤكد أن المعبر جحيم يومي لا محيد عنه لضمان لقمة العيش".

هذه الأوضاع يستفيد منها بالأساس "كبار المهربين"، ذلك أن "كل المصرحين يؤكدون أنهم مجرد ناقلي بضائع تعود ملكيتها للوبيات كبار التجار"، كما يستفيد منها رجال أمن ودرك؛ "فهناك 1000 سيارة خاصة بالتهريب، بعضها في ملكية رجال الجمارك والأمن، والتي يقدر عددها بحوالي 200 سيارة، وتحظى بامتياز الدخول إلى المدينة بشكل مباشر ودون انتظار، مما يطرح تساؤلات حول حجم الخسائر التي تتكبدها الدولة المغربية، والجهة التي تقوم بحمايته". من أجل ذلك، يحرص كل من تحدث إليهم "تيلكيل عربي" على وصف نشاط التهريب بمعبر باب سبتة بأنه تهريب منظم تستفيد منه بالأساس "لوبيات"، ليس تنظيما معاشيا، يسد رمق الجائعين، ويضمن نشاطا للعاطلين.

الأوضاع تحسنت لكن...

عندما سأل "تيلكيل عربي" يوسف غربي، رئيس اللجنة الاستطلاعية، النائب البرلماني عن حزب العدالة والتنمية "هل تغيرت الأوضاع في معبر سبتة بعد المهمة الاستطلاعية؟"، رد "وقعت مجموعة من الإصلاحات، سواء تعلق الأمر بتدفق السيارات، أو تدفق محترفي التهريب المعاشي. ولعل إحدى المؤشرات الكبيرة على ذلك أن عددا كبيرا من المغاربة الذين كانوا ينتقلون للاستقرار في المنطقة غادروا أدراجهم إلى مناطق سكناهم في المدن الداخلية".

ويحرص غربي، في تصريحاته لـ"تيلكيل عربي"، على إثارة الانتباه إلى أن ما يصدر عنه ليس رأيا شخصيا أو تقييما خاصا، بل هو تعبير أمين عما يعتقده أعضاء اللجنة. ويعترف أنه وعددا من النواب، المحمولين بحماسة اجتماعية، لم يترددوا في الدعوة إلى "أنسنة المعبر"، لكنهم بالمقابل يتفهمون

إيجاد بديل للنساء الحمالات وإعداد منطقة تجارية حرة قد يساعد على القضاء على التهريب.

جيدا الاعتبارات السياسية والأمنية التي تجعل إقامة بنيات صحية في المنطقة أمرا صعبا، وأضاف "إننا في منطقة ذات طبيعة خاصة. إننا في جزأين من وطن واحد، أقيمت على أرضه حدود وهمية، وإقامة تلك البنيات قد يفهم منه نوع من الترسيم وتثبيت لوضع قائم لكنه مرفوض".

يقر يوسف غربي بأنه لا يستطيع أن يجيب بالإيجاب أو التفي" هل عاد المركز الصحي الذي وقفت اللجنة على أنه كان دائما موصد الأبواب إلى الاشتغال أم لا؟"، لكنه، بالمقابل، ينقل عن رئيس جماعة محاذية لباب سبتة أن المنطقة التجارية التي تم اقتراحها من أجل استيعاب الشباب العاطل عن العمل، وتوفير شغل يضمن لقمة عيش كريمة، لم تنجز بعد.

مؤشرات الإغلاق النهائي

اللجنة قدمت تقريرها في أكتوبر 2019. في نفس الشهر، وبالضبط في اليوم السابع منه، أي قبل حوالي ثلاثة شهور، أقدمت السلطات المغربية على إغلاق المعبر في وجه التهريب المنظم"، دون أن تحدد تاريخا لإعادة تشغيله. ويعتقد محمد بنعيسى، رئيس مرصد الشمال لحقوق الإنسان، أن الإغلاق جاء بعد مصرع شخصين ممتهنين للتهريب، شاب وسيدة، وما أعقب ذلك من إطلاق "هاشتاغ" "أغلقوا معبر الموت".

ورغم أن السلطات سبق أن أغلقت المعبر بعد مصرع ممتهنين للتهريب المعاشي في 2 يوليوز 2017، ثم عادت إلى فتحه خلال سنة 2018، إلا أن بنعيسى يعتقد جازما أن قرار السلطات هذه المرة لا رجعة فيه، حجته في ذلك أن "الأرقام القادمة من الضفة الأخرى تشير بشكل لا لبس فيه إلى أن المستفيد من المعبر، فضلا عن "اللوبيات"، هو الطرف الإسباني/الاحتلال، بمداخيل تقدر بما بين 500 و700 مليون أورو سنويا".

"المنطقة التجارية الحرة هي البديل الحقيقي. الدراسة الخاصة بها موجودة. والقوانين التنظيمية ستخرج إلى حيز الوجود".

المؤشر الثاني على أن الإغلاق نهائي هو تشديد السلطات المغربية لعمليات تسليم شهادات السكنى وإنجاز جوازات السفر في المنطقة بالنسبة للمغاربة القادمين من مناطق أخرى. ويطال هذا التشدد أيضا مغاربة سبتة، الذين لم يعد يقبل منهم فقط "تصريح العبور"، بل صار يشترط أن يدلوا بجوازات سفرهم لدخول المناطق الخاضعة للسلطة المغربية".

ونتائج ذاك بالنسبة لبنعيسى واضحة، فـ"مدينة الفنيدق أصبحت مدينة أشباح، ولا عبرة بمواد التهريب التي لا تزال في السوق، فهناك مخزون كبير، يصعب أن يستهلك بسرعة، فبعض المخازن تراكم سلع تصل قيمتها إلى ملايين الدراهم".

في انتظار الحل النهائي

إحدى بنات الفنيدق، خديجة زياني، النائبة البرلمانية عن الفريق الدستوري، الذي جاء إحداث اللجنة بمبادرة منها، لاتملك "جوابا صريحا وواضحا ومباشرا، إن كان إغلاق معبر باب سبتة في وجه التهريب" المنظم وليس المعاشي "نهائيا"، لكن كل المعطيات التي تحدث عنها رئيس مرصد الشمال لحقوق الإنسان، تؤكدها زياني؛ "ليس هناك تهريب معاشي، كان هناك تهريب منظم يضر الاقتصاد الوطني. كانت هناك سلع استهلاكية منتهية الصلاحية تهدد صحة المغاربة".

وتعتقد زياني أن الحل بالنسبة لأبناء المنطقة هو إقامة منطقة تجارية حرة؛ "هذه المنطقة هي البديل الحقيقي. الدراسة الخاصة بها موجودة. والقوانين التنظيمية ستخرج إلى حيز الوجود". ■

أمزازي:

نظام بكالوريوس في 4 سنوات عوض الإجازة ابتداء من شتنبر.. والإنجليزية ستدخل بقوة

ابتداء من فاتح شتنبر المقبل سيتغير نظام دراسة الإجازة في المغرب والحصول على شهادتها. سنة إضافية أو نصف سنة حسب قدرة الطلبة على التحصيل، وموقع متقدم للغة الإنجليزية، وتغييرات جذرية في البرامج البيداغوجية.

حاوره أحمد مدياني

لفهم التحول الذي يأتي بعد عشرين سنة من اعتماد نظام الإجازة الفرنسية في المغرب، حاور "تيلكيل عربي" وزير التربية الوطنية والتعليم العالي والتكوين المهني والتعليم العالي سعيد أمزازي، اليوم الثلاثاء 7 يناير الجاري، على هامش المناظرة المغربية – الأمريكية حول: "الإصلاح البيداغوجي الوطني بالتعليم العالي: تنزيل البكالوريوس".

وزير التربية الوطنية والتعليم العالي والتكوين المهني والتعليم العالي سعيد أمزازي.

هل يمكن أن تشرح للمغاربة وللطلبة والتلاميذ خصوصا المقبلين على ولوج الجامعة العام القادم، ماذا تحضر الوزارة بخصوص اعتماد نظام البكالوريوس؟

المغرب اعتمد نظام إجازة/ماستر/دكتوراه في 2003، وكان خياراً مسؤلاً ومهماً حينها، من أجل دمج منظومة التعليم العالي الوطنية في المنظومة الأوروبية، وهذه الخطوة جاءت في سياق تدويل التعليم العالي الذي نهجته دول الاتحاد الأوروبي. هذا النظام منح طيلة سنوات من اعتماده النجاعة المنتظرة منه، ومنحنا مرونة إلى حد ما في التعليم العالي، وذلك بالانتقال من التعليم الجامعي السنوي إلى الأسدس، ولم تعد المواد طيلة السنة بل أصبحت لدينا وحدات مقسمة، وهذه الوجدات ونظام الأسدس وترصيد المكتسبات منح قيمة مضافة للنجاح.

كما قلت في السنوات الأولى كانت نسبة النجاح مهمة، لكن مع توالي المواسم الجامعية بدأنا نلمس بعض التراجع، لذلك قررنا بعد 20 سنة من اعتماد هذا النظام، القيام بوقفة تأملية وتقييمية، وقمنا بتشخيص النموذج الذي نتحدث عنه اليوم وقرر المغرب الإنخراط فيه.

هل هذا يعني أننا سوف نقطع بشكل نهائي مع نظام إجازة/ماستر/دكتوراه في التعليم العالي المغربي؟

لا، ولكن سوف نقوم بتنقيحه وتجويده وتطويره.

كيف؟

أولا، الإجازة سوف تتغير تسميتها لتصبح باكالوريوس، لماذا؟ لأنه اليوم الدولة الفرنسية هي الوحيدة التي لازالت تعتمد هذه التسمية، والأنظمة الدولية كافة، لا على مستوى الدول العربية أو الآسيوية أو الأمريكية، يعتمدون تسمية باكالوريوس. وهذا النظام سوف يمنح إمكانية لحركية الطلبة واعتراف بالشهادة الوطنية للطلبة المغاربة من طرف جميع الدول، ومسألة التسمية هذه مهمة جدا.

الجانب الثاني، اعتماد هذا النظام الجديد هو مناسبة لإعادة النظر في الهندسة البيداغوجية، هذه الأخيرة، حسب ما هو معتمد في السابق، كانت تتضمن عدداً من وحدات التخصص، ولكنها تفتقر لوحدات تقوية اللغات ووحدات المهارات والكفايات العرضانية الأساسية.

يجب أن نعرف جيداً ونعي بأن المشغل اليوم، عندما يستقبل خريجا من الجامعات المغربية من أجل تشغيله، أصبح يشدد على ضرورة أن لا يمتلك الخريج فقط شهادة في التخصص، بل يجب أن يمتلك مهارات إضافية أخرى، وأن يكون قادراً على الإقناع والترافع والتخطيط... وبأكثر من لغة.

الجانب الثالث، هو ضرورة الربط بين التعليم الثانوي والتعليم العالي، ووضع جسر بينهما، لتحقيق هذا الهدف، خلقنا ما يسمى بالسنة الجامعية التأسيسية، وهذا النموذج معتمد في دول مثل إنجلترا وكندا، وهذه السنة مخصصة حصراً لتطوير المهارات الذاتية للطلبة الجدد في الجامعات ولتطوير اللغات ومنح مهارات التفتح.

"نحن بصدد إخراج دفتر الضوابط البيداغوجية المؤطر للبكالوريوس. قمنا بإحالته على الجامعات، وكلها قدمت مساهماتها بخصوصه".

هذا يعني أن نظام الباكالوريس سوف يعود بالطلبة إلى نظام التخرج بعد أربع سنوات؟

نعم سوف نعتمد سنة إضافية، والباكالوريس تمنح للخريجين كما قلت في أربع سنوات، لكن مع ضرورة الإشارة إلى أنه في إطار المرونة التي سوف نعتمدها، يمكن للطلبة أن يتخرجوا في أقل من أربع سنوات.

هل هذا يعني أن السنة التأسيسية غير إلزامية؟ أم ستعتمدون داخل نظام الباكالوريوس مسلكا لامتلاك المهارات والكفايات التي تحدثتم عنها؟

سوف نعتمد كما قلت في سياق المرونة، دورة صيفية مخصصة للغات والمهارات الذاتية، وذلك في إطار مشروع نهاية الدراسة الثانوية، ويمكن من خلالها للطلبة الذين يسايرون بجدية هذه الدورة الصيفية أن يحصلوا على البكالوريوس في ثلاث سنوات ونصف فقط.

لكن هناك من سوف يثير هنا أن الوزارة عادت فقط إلى النظام القديم الذي كان معتمداً، وكانت تمنح من خلاله الإجازة في أربع سنوات؟

هذا النقاش ليس هو الأساس بالنظر إلى النتائج التي أصبحنا نقف عليها في نظام الإجازة في ثلاث سنوات. معدل نسبة التحصيل على شهادة الإجازة هو من 4 سنوات ونص إلى خمس سنوات، يعني أن هذا النقاش منطلقه سيكون مغلوطاً من الأساس. من يحصل على الإجازة اليوم في ثلاث سنوات نسبتهم قليلة جداً، لا تتجاوز 10 في المائة بالنسبة للمسالك العلمية و15 في المائة بالنسبة للعلوم الإنسانية والاجتماعية و18 في المائة بالنسبة لشعب القانون والاقتصاد، هذه نسب ضئيلة جداً، ولا نصل إلى نسبة 40 في المائة من الحصول على شهادة الإجازة إلا بعد الوصول إلى خمس سنوات من الدراسة الجامعية.

متى سوف يبدأ هذا الإصلاح واعتماد نظام البكالوريوس؟

ابتداء من شتنبر المقبل سوف نشرع في تنزيل هذا النظام.

اعتبر الوزير أن النموذج الأمريكي في التعليم العالي معروف بالمرونة وبالانفتاح.

ماذا أعددتم لتنزيله؟ وكيف ستضمنون الانتقال السلس من نظام الإجازة إلى نظام البكالوريوس؟

نحن اليوم بصدد إخراج دفتر الضوابط البيداغوجية المؤطر لهذا الديبلوم، قمنا بإحالته على الجامعات، وكلها قدمت مساهماتها بخصوصه وأغنته وطورته. كما طلبنا من الأساتذة الجامعيين مدنا بالمضامين البيداغوجية من أجل إطلاق طلبات العروض بخصوص المسالك في جميع التخصصات، علمنا أن شبكات كليات العلوم وشبكات كليات القانون والاقتصاد وشبكات كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية وأيضا شبكات الكليات المتعددة الاختصاصات، اشتغلت منذ مدة على هذا الورش، وقاموا بإعداد ما يسمى بالمسلك النموذجي والذي من خلاله سوف يتم تنزيل النظام الجديد في السنة الأولى والثانية، ومن خلاله أيضاً سوف يقوم الأساتذة بتطوير المضامين حسب التخصصات.

قال أمزازي إن اختيار اللغة الإنجليزية أصبح محسوماً، وسوف يتم تنزيله على مدى 10 سنوات في النظام التعليمي.

نتحدث اليوم في إطار مناظرة مغربية – أمريكية حول تنزيل البكالوريوس، ماذا ينتظر المغرب من الولايات المتحدة الأمريكية؟

الولايات المتحدة الأمريكية تواكب منذ سنوات مع المغرب الورش الإصلاحي الوطني للتعليم من التعليم الابتدائي، واليوم قررنا أن تشمل هذه المواكبة التعليم العالي، اشتغلوا معنا في طريق القراءة المقطعية للعربية في مسلك الرياضيات وعلى مستوى عدد من المقاربات البداغوجية المبتكرة على مستوى الابتدائي. اشتغلوا معنا أيضاً في إطار برنامج "تحدي الألفية" على مستوى إعادة تأهيل 90 مؤسسة في ثلاث جهات، ويستهدف "مشروع المؤسسة المندمجة". وشمل الاشتغال والتعاون والمواكبة أيضاً مؤسسات التكوين المهني، حيث قمنا بتطوير نموذج معاهد التكوين المهني الذين يتوفرون على مواصفات دولية مهمة. اليوم نشتغل على التعليم العالي كما قلت لكم في السابق، والنموذج الأمريكي معروف بالمرونة وبالانفتاح، لهذا لا يمكن إلا الاعتماد عليه، وذلك لأجل ما سيمنحنا من إمكانيات كبيرة، خاصة على مستوى الحركية. هذا دون أن نغفل حاجة المغرب إلى تطوير امتلاك اللغة الإنجليزية عند التلاميذ والطلبة في النظام التعليمي برمته.

هل هذا يعني أنه مستقبلا الإنجليزية في المغرب سوف تأخذ حيزاً أهم من الذي تحتله اللغة الفرنسية؟

نعم، بكل تأكيد. هذا الاختيار أصبح محسوماً، وسوف يتم تنزيله على مدى 10 سنوات.

اليوم من الصعب تعميم الاعتماد على الإنجليزية في مختلف المسالك التعليمية، لهذا دشنا هذا الورش على مراحل، ويمكن أن أقول لكم أننا سنشتغل على إدخال اللغة الإنجليزية بقوة في النظام التعليمي المغربي. الإنجليزية اليوم هي لغة العلم والاقتصاد، هي لغة الحركية، ولا يمكن أن نمنح للطلبة، مستقبلا، إلا ما يمنحهم قيمة مضافة تمكنهم من التحصيل العلمي حسب المعايير الدولية، لتمكنهم من التخرج وهم يمتلكون كل مقومات الانخراط في البحث العلمي والإدماج في سوق الشغل والاستفادة من الآفاق التي تفتحها أمامهم اللغة الإنجليزية في معظم دول العالم. ■

بعد تحذيره من مزالقها..

العروي يعيد الاعتبار للترجمة.. أصل "الداء"

دعا المفكر عبد الله العروي إلى تخصيص الكرسي، الذي يحمل اسمه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، والذي أُنشئ بتعاون مع معهد العالم العربي بباريس، للترجمة والتأويل.

موسى متروف

الواقع أن العروي قدم، في محاضرته الافتتاحية للكرسي، يوم الأربعاء 08 يناير 2020، مادة خصبة لاشتغال الكرسي، ومواضيع لأطاريح جامعية.

التمييز بين الموظف/الأستاذ والمفكر

انطلق العروي، في محاضرته التي ضاق بحضورها مدرج ابن خلدون، من أن أفكاره، أقل ما يُقال عنها، إنها خلافية ولم تكن، في وقت من الأوقات، محل إجماع أو توافق. وأوضح المفكر النادر الخروج في محاضرات بأنه طيلة العقود الثلاثة ونصف التي درّس فيها بالكلية ذاتها التي تحتضن كرسيه، وأن الطلبة الذين استمعوا إلى محاضراته يعلمون كلهم أنه كان دائما حريصا على التمييز بين واجبه "كموظف في خدمة الدولة والمجتمع، أي كأستاذ تاريخ، عاما كان أو خاصا بالغرب الكبير أو الأقصى، أهمّ عرض الأحداث وتمحيصها أم توضيح مناهج البحث

المفكر عبد الله العروي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط لإطلاق كرسيه بها.

وتفصيلها" وبين عمله "كمفكّر يتعاطى" ما سمّاه "النقد الأيديولوجي، كما يتعاطى" غيره "قرض الشعر أو حل ألغاز الرياضيات"، على حد تعبيره.

وقال "لم يحفظ عنّي قط أني عرضت، في قاعة درس، أيّا مما جاء في 'الأيديولوجيا العربية المعاصرة' أو في سلسلة 'مفاهيم'. هذه كتب نُشرت في الخارج، عُرضت ونوقشت فيه، أكثر مما عُرضت ونوقشت هنا في المغرب. أما الكتب التي كانت من صميم مهمتي كمؤرخ؛ أعني 'مجمل تاريخ المغرب'، 'دراسات تاريخية'، 'أصول الوطنية المغربية'... إلخ. فهذه، عكس الأخرى، لقيت استحسانا من طرف الأغلبية الكبرى من القراء. وإن هي نوقشت، فكان ذلك على أساس علمي عادي بين الزملاء المهتمين بالموضوع".

وظائف الكرسي

بعد التمييز الذي حرص العروي على التأكيد عليه، انبرى لتحديد دور الكرسي، الذي "هو بالأساس مجال للتباحث والتدارس لمناقشة مفاهيم وإشكالات" ارتبطت باسمه "في السنوات الأخيرة"، قبل أن يضيف أنه "فضاء يوفر المراجع والوثائق والمستندات التي تساعد على تحديد وتوضيح وتقييم تحليلات ونظريات" تقدم بها "في ظروفها وحدودها". وهي "تحليلات وإشكالات واجتهادات ترتبط بالتاريخ، بالتطور والجمود، بالتقدم والتخلف، بالاستمرارية والقطيعة، بالعقلانية واللاعقلانية، بالاستقلال والتبعية، باللغة واللهجة، بالدولة والفوضى، بالثقافة والفولكلور... إلخ".

وطرح أسئلة قد تكون موضوع تباحث وتدارس من قبيل: لماذا اختار تلك المفاهيم بالذات؟ هل انفرد بطرحها أم سبقه إلى طرحها غيره، في السياق ذاته ومن الزاوية ذاتها، أم من منظور مختلف؟ مفاهيم يقول إنها مرتبطة بمشكلات معينة، ليتساءل: هل ما زالت تلك المشكلات قائمة، أم أصبحت متجاوزة؟ إن كانت لاتزال قائمة، فيطرح هل يجب تمحيصها مجددا، في إطار تظافر وتكامل اختصاصات شتى، من تاريخ واقتصاد واجتماع ولغة؟ ليؤكد أنه "يجب، حينئذ، إعادة تعريف المفاهيم وتجديد الأساليب البيانية"، ليخلص، على هذا المستوى، إلى لأنه "من هنا، أهمية النقل والترجمة".

وقبل أن يعود إلى النقل والترجمة، في آخر محاضرته، استمر في طرح الشق الثاني المتعلق

«

بالمشكلات التي ترتبط بها المفاهيم السالفة الذكر، وإن كانت قد أصبحت متجاوزة، ليتساءل: بأي معنى يكون التجاوز؟ هل بمعنى أن المشكلات المتناولة وجدت طريقها إلى الحل، أم أنها فقدت راهنيتها في المحيط الحالي؟ ليقف عند أمثلة ثلاثة.

1. الدولة الوطنية

بالنسبة لهذا المثال الأول، قال إنه قد يقال له، في كلام موجه إليه "كمؤلف"، "أطلتَ الكلام عن الدولة الوطنية أو الدولة القومية. كل أطروحاتك عن التاريخية، التخلف، القطيعة، الإصلاح، ترتكز على هذا المفهوم، وعليه وحده، لكن اليوم، في المجتمع الحالي، ماذا تعني اليوم الدولة الوطنية ونحن نراها، في كل بقاع الدنيا، ونحن نراها، إما تتفكك وإما تُسلب من كل فاعلية أو نفوذ؟ كل أزمات الأرض تُختزل في انحلال الدولة القومية. الانتماء اليوم هو للعرق، للمذهب، للقبيلة، لا للدولة، كما تمثلت في فرنسا الثورية. يبدو وكأن المستقبل هو، على الأرجح، للسلطة القبلية أو للفيدراليات الهشة"...

2. ابن خلدون والتدوين

ذكر العروي في المثال الثاني أنه قد يقال له إنه أثنى في مناسبات عدة على ابن خلدون، "لأنه أولى أهمية كبرى لما سمّاه عملية التدوين؛ أي نقل ثقافة شفوية إلى ثقافة مكتوبة، فشيد صرح علم العمران، على هذه النقطة".

وقد يقال إنه ذهب "إلى القول إن تأخرنا يعود إلى أننا وقفنا عند هذا الحد، ظنا منا ألا ثورة بعد ثورة التدوين، فلم ننتبه إلى ماحصل في أوروبا، أواسط القرن الخامس عشر، باختراع الطباعة، التي كانت بمثابة ثورة تدوينية ثانية".

"بل ذهبتَ"، في الخطاب الافتراضي الموجه إليه كمؤلف "إلى أبعد من هذا، حيث فسرت نجاح الآسيويين بكونهم كانوا مهيئين للثورة التحديثية باختراعهم، قبل الأوروبيين، لنوع ما من الطباعة: آلة النسخ". ليقول "إن هذه نقطة نتركها بين أيدي المؤرخين ليفصلوا فيها إن أمكن ذلك". و"لكن حتى لو صحت، أي أهمية لها في عالم اليوم، حيث تعود بقوة الثقافة الشفوية وحيث يمر الكتاب بأزمة خانقة. قد تكون الثورة المعلوماتية والرقمية لاحقة تابعة زمنيا لثورة الطباعة، لكنها جاءت معاكسة لها وقضت على الكثير من نتائجها، فاختفى بذلك العديد من العراقيل والعوائق التي أطلت فيها الكلام. ربما نواجه اليوم مشكلات أكبر وأعوص من مشكلات الأمس، لكنها غير التي شغلت بالك سنين طويلة وجاهدت في تصور حلول لها"، يضيف المفكر ضمن الأسئلة المفترضة الموجهة إليه.

الحضور كان مكثفا لمتابعة محاضرة العروي الذي تبقى خرجاته نادرة.

3. طوبى الفقهاء والمتصوفة

وذكر العروي أنه قد يقال له ثالثا "أثنيت على ابن خلدون في مقام آخر؛ يتعلق بجانب الواقع البراغماتي من فكره، مقارنة بما سمّيته 'طوبى الفقهاء والمتصوفة'، لكن في عالم اليوم، ماذا يعني الواقع؟"، ليجيب بأن "الواقع، في المتعارف، حتى الآن، هو المحسوس، ما يُرى، ما يُسمع، ما يُلمس. فإذا بنا نرى ونسمع ما نعلم أنه غير موجود ماديا. لا نتوفر، إلى حد الساعة، على حاسة تمكننا من التمييز بين المعقول والمبهوم. بل، في حالات كثيرة، أصبحنا نفضل الوهم ونتعلق به. إذن، فما فائدة الواقعية التي ما فتأت تدعونا إليها في الفكر، في السلوك، في التعبير والإبداع؟".

وأوضح المفكر أنه أورد "كل هذه الاعتراضات، وكلها وجيهة، لا لدحضها، على الفور"، مؤكدا أن "المقام ليس هنا مقام ومناظرة". وقال إنه أوردها كمثال لما يمكن أن يطرح للنقاش في نطاق الكرسي. وأوردها لكي يشير إلى أن "هدف الكرسي ليس نشر إيديولوجيا بعينها، بقدر ما هو تدارس مسائل راهنة ومتجددة".

ثلاث مسائل راهنة

وأعطى المفكر نماذج ثلاثة لهذه المسائل الراهنة والمتجددة، وقدمها على الشكل التالي:

1. "نلاحظ بالفعل أن الدولة القومية لم تعد مقنعة، وأن الدولة الوطنية لم تعد مزجية، فنطرح السؤال المقلق: ما البديل؟ أهو اللادولة؟ أهو الدولة الأممية التي تخيلها فلاسفة القرن الثامن عشر الأوروبي؟".

2. "نلاحظ بالفعل أن الأمية الرقمية قد تكون أسوأ من الأمية الحرفية، لكن ما

الفرق؟ ما العلاقة بين الحالتين؟ هل محو الأولى يعفي من محو الثانية؟ أم بالعكس، هل محو الثانية شرط لمحو الأولى؟ الجواب ليس سهلا ولا بينا ولا يكفي فيه استشارة متخصص بعينه".

3. "هذا الواقع الافتراضي الذي يغشانا ويذهلنا، هل هو من نتائج العلم العقلاني التجريبي أم من هو من عمل سحرة موسى؟ المتوهم هل هو فعلا غير المعقول؟ بمعنى آخر، هل المجتمع غير الحداثي يستطيع أن يتصور واقعا افتراضيا. المجتمع غير الحداثي أنشأ، في الماضي وتلقائيا، قصص السحر والمغامرات، رسم عوالم الغرائب والعجائب، لكنه، تحت ظل الحداثة، لم يبدع قصص الخيال العلمي...".

وخلص العروي، على هذا المستوى، إلى أنه "لا خلاف، إذن، في أن إشكالات اليوم ليست هي إشكالات وسط القرن الماضي"، مؤكدا على أن "هذه النقطة هي التي يجب أن تناقش بجد ومن عدة أوجه". وزاد أنه "لاخلاف أيضا في أن هذه الإشكالات الجديدة، التي تواجهنا، اليوم، تولدت في إطار معروف، هو إطار الدولة الوطنية والإنتاج الصناعي والعقلانية الواقعية. فلا يُتصور أن تفهم، أن تدرس، أن تعالج في إطار عتيق، إطار اللادولة، إطار العمران البدوي، إطار العلوم الغيبية..."، مشددا على أن "كل إشكال يُطرح في نطاق: أين ومتى؟".

وذكر أن ذلك ما حاول توضيحه في كتاب "بين الفلسفة والتاريخ"، الذي حرره بالفرنسية وعرّبه عبد السلام بنعبد العالي. وهو المدخل إلى موضوع الترجمة والتأويل الذي أراده تخصصا للكرسي الذي أصبح يحمل اسمه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

الترجمة والتأويل

قال العروي، في هذا السياق، "مارست الترجمة، وأعرف مكامنها ومزالقها. يحرص المترجم ألا يقحم ذاته في ما يترجم، وأن يظل وفيا، قدر المستطاع، لأسلوب المؤلف، فيؤدي المعنى، كما جاء في النص. لكن، أنا، عندما أقوم بترجمة نص كتبته، أشعر بما لا يشعر به غيري، إذ أستعيد في الغالب الفكرة التي أردت التعبير عنها بالفرنسية، ثم أحاول أن أعبر عنها، هذه المرة، بالعربية، فأرى بوضوح أن العبارتين تختلفان". وأعطى عن ذاك مثالا واحدا هو لفظ "Erudition"، في أحد مقاطع الكتاب المشار إليه تكلمت على طلبة المشرق الوافدين على باريس لدراسة الفلسفة وقلت إنهم عندما يصلون إلى صف الدكتوراه، لا يجدون منفذا سوى القيام بأعمال تسمى "Travaux d'érudition". كيف نعرب هذا النعت؟ يتساءل المفكر ويجيب بأن "القاموس العادي يعطينا 'متبحر، مدقق، محقق، عالم'"، لكن المعنى الذي قال إنه أومأ إليه يشير إلى الاهتمام

ذكّر العروي بأن أفكاره، أقل ما يقال عنها، إنها خلافية ولم تكن، في وقت من الأوقات، محل إجماع أو توافق.

بجوانب هامشية من مسألة ما، وذكر كمثال دراسة عن سبينوزا والإسلام، وهي دراسة قال "إنها طويلة نسبيا، أخذت من الباحث وقتا غير قصير، وفي النهاية تحدثنا لا عما كتب الفيلسوف فعلا عن الموضوع، بل عما لم يكتب، علما أنه كان يعرف حق المعرفة موسى بن ميمون (Maïmonide)، الناشئ في الأندلس الإسلامية، فالسؤال الذي طرحه الباحث: لماذا سبينوزا، بمعرفته وعلاقته بموسى بن ميمون، لم يتكلم عن الإسلام؟ القول إن هذا العمل الشاق يدخل في خانة البحوث المنعوتة بالنعت المذكور (Travaux d'érudition). يحمل حكما سلبيا إن لم يكن قدحيا. تمدنا الدراسة بمعلومات صحيحة، موثقة، لكن فائدتها هزيلة وربما منعدمة. أي لفظ عربي يؤدي هذا الإيحاء؟".

وانتقل إذن إلى اللسان العربي، وأوضح "الأقرب إلى ما نعني بلفظ 'érudit' في الاتجاه الذي ذكرت هو لفظ 'عالم'. من هو العالم في الثقافة العربية القديمة؟ وهنا أيضا قاموس الاشتقاق لايفيد، بدليل أن المترجم إلى لغة أوروبية يواجه الصعوبة ذاتها التي واجهتنا، فيترك الكلمة على حالها، ويقول 'un alem' و'des oulémas'. لا بد من الغوص في التاريخ الثقافي الإسلامي والبحث عن نشأة المصطلح (عالم). من هو العالم قديما؟". ويجيب "لا يسمى عالما كل من له اطلاع واسع في ميادين شتى. نندهش لما نكتشف أن كثيرا من العلماء لا يعترفون بعلم الغزالي لأنه لم يكن يتقن علم الحديث، باعترافه هو، وكذلك ابن خلدون، لم يعتبر في الشرق أنه عالم مقارنة بابن حجر مثلا. العالم في الاستعمال القديم يدقق أيضا في الجزئيات، لكن لأغراض فقهية مضبوطة، ليس هنا محل تفصيلها، إذن حسب تطور المصطلح في الحالين، لفظ عالم هو الأقرب إلى مؤدى لفظ 'érudit' رغم هذا التقارب، من الواضح أنه لا يمكن أن نعرّب هذا بذاك لسبب غياب الجانب السلبي التحقيري الموجود في حال 'érudit' والغائب في حال 'عالم'. وما نقول عن هذا اللفظ البسيط، نستطيع أن نقوله عن مفردات أخرى، أكبر أهمية، مثل 'raison'، هل تقابل فعلا لفظ 'عقل' المسجل في القاموس، كذلك 'tradition" هل تقابل فعلا كلمة 'تقليد'. وفي اللسان العربي هل كلمة 'عمران' تقابل فعلا 'culture' أو 'Civilisation'؟ علما أن كلتي الكلمتين لا تؤديان المعنى ذاته في الفرنسية والألمانية". ما هي الغاية من هذه الملاحظات؟ يرد بما كتبه في "بين الفلسفة والتاريخ"، حيث يقول "ليس مشكل نقل لغة إلى الأخرى حديث العهد عندنا. لقد وصلت الفلسفة الإغريقية إلى المسلمين في صورة مشوهة ونادرا ما كانت الترجمات الأولى المعيبة تُصحح في ما بعد. من غير المستبعد إذن أن نجد أنفسنا بعد قرن أو اثنين في الوضع نفسه، فأولئك الذين هم منا أكثر اطلاعا على الفلسفة الغربية هم، في الوقت ذاته، أقلنا تأهيلا

لنقلها إلينا. خطأنا الكبير في الماضي وفي الحاضر وما يدعوني إلى بعض التشاؤم هو أننا نظن أن النقل يتم مرة واحدة في حين أن الترجمة، لكي تكون مثمرة، عملية مستمرة. لا يمر عقد في الغرب دون أن تصدر ترجمة جديدة لأرسطو أو لغيره من كبار المفكرين القدامى، بل تشيد فلسفات جديدة على إثر إعادة ترجمة مفردة أو مجموعة من المفردات"...

وأوضح أنه قبل الترجمة هناك تأويل للمعنى، وأوضح أن الرومان عندما أرادوا اكتشاف الفكر اليوناني وجدوا صعوبة كبرى لأن اللغة اللاتينية لم توافق بالضرورة وبمعنى حاسم المفاهيم التي تعبر عنها الألفاظ اليونانية. وقال إنه جرب ذلك عندما نقل مونتيسكيو وروسو إلى العربية، وفي الاتجاه المعاكس عندما نقل ابن خلدون من العربية إلى الفرنسية.

مزالق الترجمة

ودعا العروي إلى تأمل الترجمة التي وصفها بـ"المرتبكة" في حالي مفهوم "Laïcité" الذي عرب في البداية بـ"لادينية" لأسباب ظرفية، وتساءل ماذا كان يحصل لو كان المعرب على اطلاع بتاريخ المفهوم في أوروبا المسيحية أو لو انطلق من الإنجليزية عوض الفرنسية وعرض لفظ "Secular" بـ"دنيوي"، أما كان المفهوم حينئذ ينفصل عن "اللادين" ويتخذ النقاش حول المسألة مسارا آخر؟

تساءل العروي عن ترجمة مفهوم "Laïcité" الذي عرب بـ"لادينية": ماذا كان يحصل لو كان المعرب على اطلاع بتاريخ المفهوم في أوروبا المسيحية أو لو انطلق من الإنجليزية عوض الفرنسية؟

ويزيد أن لفظ "دارجة"، الذي يعني في استعمال البعض "اللغة الوطنية المغربية"، معرب من الفرنسية "courant" الجاري عند الفرنسيين منذ احتلال الجزائر، حيث كانوا يميزون بين اللغة العربية المكتوبة، لغة المتعلمين "arabe littérale" و"arabe courant"، لغة الأميين. وتساءل مرة أخرى: "ماذا كان يحصل لو فعل هؤلاء المترجمين كأهل المشرق أو كقدماء النحاة وقالوا لغة عامية أو لغة العوام، أما كان النقاش هنا أيضا يأخذ منحى آخر أكثر فائدة وجدية. لو اجتهد من يتكلم في هذا الموضوع الحساس وبحث عن أصل التباعد بين المكتوب والملفوظ، ليس في العربية وحسب، بل في معظم لغات الأرض لاتضح له أنه وجد في الماضي، يوجد حاليا، وسيوجد مستقبلا فرق يدق أو يتفاقم بين المكتوب المدون المرسّم وبين المنطوق الحر المتشعب، والذي إذا دُون ورسم لا يلبث أن يتجزأ بدوره إلى مكتوب وملفوظ لكل واحد من الاثنين مقامه ومجاله".

وأضاف العروي "هذا ما يعرفه جيدا المتحدثون بالإنجليزية، يقبلونه ويتعايشون معه، في أماكن مختلفة من الدنيا ويتعامى عنه غيرهم لأسباب عارضة خاصة بهم".

وشدد على القول "أقول ما أقول لا لإثبات أن كل شيء على ما يرام في نظامنا التربوي والثقافي، بل بالعكس، كنت دائما ولا أزال أدعو إلى إصلاح شامل في هذا المجال، خاصة اللغوي. لكن هذا لا يمنعني من التنبيه إلى أن النقاش قد حاد عن الطريق السوي، لأنه انطلق من سوء تأويل لمفهوم عبر ترجمة غير دقيقة". وقال، في السياق ذاته، "كل ترجمة تأويل ولا أحد يملك، من البدء، التأويل الصحيح قطعا وبما أن التفكير ينبني على تصور واستحضار، يكفي أن نرتكب ولو خطأ بسيطا لنتيه في سجال عقيم لا حد له. لابد حينئذ من العودة إلى الأصل لإعادة النظر في الترجمة باعتماد تأويل جديد.

بما أن الترجمة تأويل فردي أو جماعي فلا مفر أن تكون عملية متواصلة متجددة. التفكير؛ أي التأمل والتمعن، هو بالأساس تأويل، انتقال من مجال معنوي إلى مجال آخر، أعلى أو أسفل، أعم أو أخص، أشمل أو أدق. وبما أن التفكير تأويل فهو إذن ترجمة، حتى في نطاق اللغة الواحدة؛ إذ لا توجد أداة لغوية لا يتواجد فيها القديم والدخيل، المشتق والمستعار، الجامد والمتحرك. لا ننفك نترجم عندما نناجي أنفسنا ونحاور غيرنا. ولا ننفك نترجم بشكل أوضح وأدوم عندما نتأمل، نتمعن، نفكر. لا تفكير جدي وعميق دون تأويل ودون ترجمة". وختم المفكر كلمته باقتراح، بقوله "لقد أعطينا اسما لكرسي يلحق ببرنامج كلية الآداب، ياحبذا لو أعطينا، في الوقت ذاته، للاسم مسمى وهو كرسي للترجمة والتأويل". ■

دعا العروي لتخصيص كرسه للترجمة والتأويل.

TELQUEL عربي

مهنية ومصداقية

http://ar.telquel.ma/